(١٤)
تخبط أجهزة الحكومة فى تحرياتها عن النديم

وبينما كان النديم مشغولا فى كتابه كانت الحكومة ترصد له الجواسيس والأعين فى عامة البلاد المصرية من أسوان إلى الإسكندرية إلى السويس إلى دمياط إلى العريش للبحث عنه، وبدأت السلطات تتخبط فى تحرياتها فى حين أكدت بعض أجهزتها أنه مختف داخل المحروسة وأنهم سيستمرون فى تحرياتهم عنه حتى يتمكنوا من الوقوف على الجهة المختفى فيها والقبض عليه، وطالبوا شيوخ الحارات بالقاهرة ببذل الهمة فى البحث عنه . وكان النديم يتنقل خارج القاهرة بين القرى والعزب، وكلما شددت الحكومة فى البحث عنه والقبض عليه كان ينشر الشائعات عن هروبه إلى الخارج.

وبعد أن عجزت الحكومة فى القبض على النديم أصدرت عليه حكما غيابيا بالنفى المؤبد وإبعاده عن الأقطار المصرية ولكى تبرر فشلها فى القبض عليه نسجت حوله الشائعات بأنه مات حتى ينساه الناس فخرجت شائعة بأن النديم قبض عليه وقتل خنقا فى دمنهور ، وأخرى بأنه انتحر يائسا .

أما الوطنيون فقد نسجوا حوله القصص البطولية ، فمنهم من قال إنه استشهد فى معركة التل الكبير ، ومنهم من ذكر إنه ركب مع العرب وخرج إلى الصحراء ، ومنها سافر إلى المغرب الأقصى .

وفى تلك الحقبة استقر النديم فى مخبئه بالعتوة القبلية نحو عام مات بعده الشيخ " محمد الهمشرى " ففقد النديم بموته الأمان على نفسه ، كما أحس الجهاز المشرف على اختفاء النديم بالخطر فأخذوا يرقبون الأمور بنفوس قلقة ، ووكلوا إلى الشيخ سعيد الأزهرى مهمة الذهاب إلى النديم وتحرى الموقف منه قبل أن تكتشف الحكومة أمره ، ولما لم يكن يعلم بأمر النديم فى " العتوة القبلية " سوى زوجة الشيخ الهمشرى فقد استدعت أكبر أبنائها الذى لم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره وأخبرته " أن ضيفهم المختفى عندهم هو عبدالله النديم طريد الحكومة " الذى جعلت لمن يرشدها عليه ألف جنيه وسألته "هل يطمع فى المكأفاة ويسلمه

أم يكون كأبيه فى حفظ الجار وحماية الذمار " فوعدها بأن يكون كأبيه فى حفظه .

هكذا حسمت زوجة الهمشرى موقف النديم تجاه ابنها الأكبر وكانت مثالا لشهامة ونبل المرأة المصرية فى المحنة وشد أزر المظلوم كما كانت مثالا طيبا فى المروءة والشهامة والإقدام استمر النديم فى ضيافة أسرة الهشمرى نحوا من أربع سنوات ضيفا كريما وسره فى أمان وكتمان .

ولما تسرب خبر النديم إلى بعض أقارب أسرة الهمشرى وشوا به ، مما اضطر النديم إلى الفرار ليلا من القرية ، ولم يكد يبتعد عنها حتى وصل البوليس إليها واقتحم المخبأ الذى به النديم فلم يجد له أثرا .

تردد النديم على كثير من القرى والكفور يصحبه " السيد المغازى" أحد الوطنيين من أفراد الجهاز المشرف على اختفائه ، وكان لا يذهب إلى مكان إلا ويظهر باسم جديد وبشكل جديد ، فهو مرة شيخ من مشايخ الطرق الصوفية ، ومرة عالم يمنى . ومضى النديم ينتقل بين قرى الغربية نحو ثلاثة شهور حتى استقر بقرية " الكوم الطويل " نحو سنتين على أنه عالم من الحجاز يدعى الشيخ " يوسف المدنى " وقام بتدريس الفقه والتوحيد والنحو بمسجد القرية كما كان يخطب الجمعة فى أهاليها .

لقد كان انتشار الجواسيس فى كل مكان لمعرفة مكان النديم سببا فى عدم استقراره ، فجاءه خبر الجهاز المشرف على اختفائه بضرورة الخروج من "الكوم الطويل" فقابل النديم عمدة القرية وكشف له عن نفسه بأنه النديم طريد الحكومة ثم طلب منه حمارين ينتقل بهما هو وخادمه ففعل وذهب النديم إلى المحلة الكبرى وتستر هناك عشرين يوما متخفيا داخل وكالة ، ثم سار إلى قرية " كفر الدبوس " حيث مكث بها ثلاثة شهور ثم قصد سنهور حيث أقام بطرف " سيد أحمد أفندى عبد الخالق "وأقام عنده مدة ثم ذهب إلى "العجوزين" وبعدها نزل إلى القرشية" حيث أقام ضيفا لدى " أحمد بك المنشاوى " بمنزله فى عزبة ملكه ومكث بها بين خمسة أو ستة شهور متنكرا فى زى يمنى ومطلقا على نفسه اسم " الشيخ على اليمنى" .

ولما كان مجلس المنشاوى مجلس أدب وعلم فقد تصدر النديم مكانة كبيرة فيه وأخذت شهرته فى الانتشار حتى وصلت إلى القاهرة .

استمر النديم ضيفا على أسرة المنشاوى نحو خمسة شهور رحل بعدها بحجة السفر إلى بلاد الحجاز لأداء فريضة الحج ، ثم رجع متخفيا فى زى مغربى وأطلق على نفسه " سى الحاج على المغربى " ونزل ضيفا على صديقه الأديب " محمد التميمى " وظل

عنده شهرا انتقل بعده إلى قرية " الدلجمون " وظل أسبوعا ولما أحس بانكشاف أمره وعزم الحكومة القبض عليه خرج إلى قرية "البكاتوش " حيث أقام إلى دار جاره "أحمد جوده" وكان رجلا قوى البنان لا يبالى بظلام الليل . . فصار يصحب النديم إذا أراد الانتقال من بلد إلى بلد فى الليل الحالك ويتجشم معه أضيق المسالك ، كما كان ينتقل أيضا إلى دار الحاج " إسماعيل الكردى " حيث مكث عنده شهرًا تقريبا ، انتقل بعده إلى شباس الشهداء وأقام بمنزل "محمد معبد الحلاق" الذى لقى عنده المروءة والكرم ولما زاره صديقه الشاعر والأديب "محمد شكرى " بشباس الشهداء أخذه معه إلى " دسوق " مدعيا أنه ابن عمه أتاه زائرا من الحجاز ومكث عنده نحو ستة شهور عاش خلالها فى حيرة وقلق . ولما أحس بانكشاف أمره ومعرفة الحكومة بمكانه انتقل إلى "شباس الشهداء "ولكنه لم يمكث بها طويلا حيث عاد إلى "دسوق" ومكث بها ستة أشهر أخرى خرج بعدها إلى "البكاتوش" ولحقت به زوجته بينما أقام خادمه وزوجته بالجميزة .

لقد قاسى النديم الويلات فى فترة الاختفاء حيث مرت به لحظات تعاسة وشقاء كانت تثور لها نفسه وتتوتر منها أعصابه أحيانا . فمثلا كان يجد نفسه حبيسا فى حجرة مظلمة قذرة يفصل فى منازعات بين زوجته وزوجة خادمه على زاد بسيط او

تقسو عليه زوجته وتسيء معاملته إلى حد أن تلطمه على فمه، ومع ذلك كان يترضاها كارها ويصالحها حتى لا يتركها ترشد عنه، ويزيد من همه ما يقرؤه فى الصحف أن "سلطان باشا" وبعض الأعيان يقدمون الهدايا والنياشين لقواد جيش الاحتلال فتثور نفسه ويبكى، وأحيانا كان يشعر بالخطر يهدده فيشتد فى الاستخفاء حتى أنه ظل بقاعة مظلمة يرشح الماء من أرضها لقربها من ترعة لمدة تسعة أشهر لأن الشرطة كانت فى مكان قريب منه تجد فى البحث عنه، أو أن تجيئه الأنباء أن والده ووالدته وشقيقه فى حالة من الضنك الشديد لتضييق الحكومة عليه، أو أن كتبه ومؤلفاته التى أنفق فيها تسعة عشر عاما سقطت فى النيل أثناء هجرة أهالى أسكندرية بعد ضربها، ولكن انهماك النديم فى الكتابة وقراءته للكتب التى كان يحضرها له صديقه الشيخ سعيد الأزهرى" وإحساسه بحب الناس له والوقوف بجانبه كان كل ذلك يخفف من آلامه، ويبعث فى نفسه القدرة على تحمل محنة الاختفاء.

لقد أتاحت مدة الاختفاء للنديم الفراغ ما مكنه من الاشتغال بالقراءة والدراسة والتأليف، فأتم فى مدة الاختفاء عشرين مؤلفا، ويتضح ذلك من قوله: "وقد تم لى الآن عشرون مؤلفا بين صغير وكبير فانظر إلى آثار رحمة الله اللطيف الخبير، كيف

جعل أيام المحنة وسيلة للمنحة والمنة. طلبت زوجة النديم زيارة زوجة خادمه بالجميزة فسمح لها، وهناك تشاحنت الزوجتان فهرول الخادم مسرعا إلى " البكاتوش " لإبلاغ النديم الذى يخشى انكشاف أمره فأسرع إلى الجميزة متنكرا تحت اسم الشيخ إبراهيم الشهاوى ليصلح بينهما وبقى النديم هناك شهرين طاب له خلالهما المقام والتف حوله العمدة " الشيخ عبد الغنى " العالم بالبلدة وبعض الأهالى لتلقى العلم منه ليلا والاستماع إلى وعظه ومسامراته.